

من أعلام الجنوب : محمد علي لقمان الهماهي، رائد الحداثة والتتوير في عدن.



Tuesday 22nd November 2016 08:25 AM

شبوہ برس - خاص - عدن

(رجل في تاريخ وتاريخ في رجل)

لم تحظى اي مدينة من مدن العالم من الاسماء والايوصاف على مر التاريخ قديمه وحديثه، كما حظيت بها مدينة عدن فهي: (بلاد العربية السعيدة، المخزن الروماني، مرفأ مراكب الهند والصين، مغاص اللؤلؤ، اقدم اسواق العرب، دهليز الصين، فرضة البحر الاحمر، فرضة اليمن، خزانة المغرب، حبس الفراعنة، مقام الجن، بلد التجارة، دار السعادة، ساحل البحر، الثغر البديع، عروس البحار، درة البلدان، حلقة الوصل بين الشرق والغرب، السوق الكبير للجزيرة العربية، جبل طارق الشرق، القطب المغناطيسي....وغيره من الالقاب).

كما لم تحظى اي شخصية سياسية او فكرية او ادبية عربية من الاوصاف والالقباب، كما حظيت بها الشخصية الجنوبية، ابن عدن البار، المجاهد الكبير محمد علي لقمان المحامي، المولود في عدن بتاريخ 6 نوفمبر 1898م، ومن تلك الاوصاف والالقباب الذي حظي بها لقمان: (رائد التنوير، زعيم التجديد، قائد التحديث، نصير المظلومين، شيخ عدن، المجاهد الكبير، حادي الركب، الداعي المخلص، الطود الاشم، ابو الاحرار، دليل القافلة، ابو الدستور، مصباح الشعب، صوت البلاد، النبراس، السيف البتار، امير الصحفيين، شيخ الحقوقيين، المشعل المتوهج، رجل البيان، سفير الحقيقة،... وغيرها من الالقباب).

والحقيقة ان الرجل قد نال تلك الاوصاف والالقباب عن استحقاق وجدارة وشرف لما عرف عنه من تاريخ وطني حافل وسيرة محمودة، ومعين لا ينضب من العطاء والابداع والتضحية على مدى نصف قرن من الزمان في مختلف جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، لم ترتق اليها اي شخصية جنوبية اخرى حتى وقتنا الحاضر. فلقد كان لقمان الفيلسوف والمفكر الاجتماعي هو الرائد الاول في كل ما شهدته مدينة (عدن) من نهضة سياسية وفكرية وادبية منذ العشرينات من القرن المنصرم حتى وقتنا الحاضر، حتى انه يخال للمرء بان لقمان بمثابة عدة شخصيات تجمعت في رجل واحد. فهو الرجل الذي تنوعت عطاءاته من الكلمة وحتى الفعل فهو حادي الركب وفارس الكلمة الذي لا يشق له غبار، انه صنو مدينة (عدن) التي بادلها الوفاء وبادلته الريادة، فانتصر لها ولابناءها البسطاء والطيبين، لنساءها قبل رجالها لشيوخها قبل شبابها، ولفقراءها قبل اغنياءها، ولجهلاءها قبل متعلميها، ولم تكن ثقافته بالنسبة للقمان مجرد ترف فكري او نزق سفسطائي، ولكن كان رسالة للتنوير والتثوير نحو الدروب المغلقة وكان له الشرف الكبير ان يكون اول طارقيها. لقد كان لقمان يعجن الكلمة من ماء قلبه ويملحها من صفيد عرقه ويصب عليها من عقارات فكره وتوابل مشاعره فتخرج صافية نقية من مصفاة روحه. لقد حمل لقمان الصخرة على كاهله كما لو انه (المسيح) ينوء بارزاء قومه ليخذهم من الوهاد السحيقة نحو الذرى السامقة بلا ياس او تعب. انه ال (برمثيوس) العدني الذي سرق النار المقدسه من الالهة، النار النور، نار تحرق الظالمين ونور تضيء دروب المظلومين الباحثين عن الحقيقة الضائعة وسط ركام من الوهم والخديعة. لقد كان السباق الاول دوماً نحو اكتشاف دروب جديدة لم يسبقها اليه احد.

فهو المؤسس الاول للنادية الثقافية والاجتماعية عندما كانت مدينة عدن تغرق وسط بحور من الجهل والريذيلة، فانشأ (نادي الادب العربي) عام 1924م ومخيم (ابو الطيب المتنبى) عام 1939م و (نادي الاصلاح العربي الاسلامي) عام 1929م والتي كانت بمثابة منابر لنشر العلم والمعرفة في وقت انعدمت فيه وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة فكانت قبلة الابداء والمتقنين لمدينة عدن والمناطق المجاورة يتناقشون ويتجادلون في امور الفكر والسياسة والادب نذكر منهم محمد عبده غانم ولطفي جعفر امان وعلي محمد لقمان وآل الاصنج محمد سعيد جراده وحامد خليفه وعبدالرحمن جرجره وفدعق والزبيرى والنعمان والحكيمي والاديب الحضرمي الكبير علي احمد باكثير احد اهم رواد الشعر العربي الحديث، وعندما هاجر لقمان الى الصومال لم يستطع باكثر البقاء وحيداً في عدن دون لقمان فلحق به الى (هرجيسة) لان لقمان هو عدن وعدن هي لقمان.

وهو الرائد والمؤسس لاول صحيفه اهليه على مستوى الجزيرة العربية (فتاة الجزيرة) عام 1940م واول صحيفه اهليه ناطقة باللغة الانجليزية (ايدن كرونكل) عام 1953م، وقد كانت مطابع فتاة الجزيرة بعدن هي الواحة الوارفة امام الابداء والمبدعين في عدن والمناطق المجاورة لاصدار كتبهم ودواوينهم الشعرية وصحفهم الاهليه. كما كان لقمان هو السباق للمطالبه بنشر التعليم العام والجامعي وفتح المعاهد والكليات امام ابناء وبنات عدن، وناضل من اجل هذه القضية نضالاً لا هوادة فيه لانه دائماً ما كان يردد بان التعليم هو السبيل الوحيد للنهوض بعدن والمحميات للحاق بالامم الحديثة والفتية وبدون التعليم لن نستطيع للحاق بالركب الحضاري العالمي. ولذلك فقد كان لقمان اول من قام بابتعاث عدد من ابناء عدن للدراسة بالخارج في العراق وسوريا ومصر والهند مستغلاً علاقاته الشخصية مع عدد من الملوك والامراء والزعماء العرب، منهم الزعيم عبدالعزيز الثعالبي والامير شكيب ارسلان والرئيس جمال عبدالناصر و المهاتما

غاندي.. وغيرهم.

ومن اجل الدفاع عن حقوق ابناء عدن ومساواتهم في الحصول على الوظائف والترقيات والرواتب المجزية اسوة بالانجليز وابناء الجاليات الاخرى الوافدة فقد اسس لقمان (الجمعيه العدنيه) عام 1949م كاول نواة لحزب سياسي في عدن والمحميات وكتب في 23 مارس 1947م يقول: (...نقول للعدني هذا وطنك فينتسم ساخرا منتهكما .. وطني وماذا اجد فيه من خير، هل منحت قسطاً في حكمه، هل اعطيت مقاما محمودا في ربوعه، الست انا العدني الفقير منذ اكثر من قرن؟ الى اين ارتقى ابناءي، هل صاروا اكثر من كرانيات في وظائف لا تسمن ولا تغني من جوع؟ هل بلغت شيئاً من الثراء؟ هل نلت شيئاً من الوجاهه؟...) كما قال في مكان آخر مخاطباً القادة والملوك العرب، كما لو انه يريد ان يطرح القضية على الجامعة العربية (... اسالوا عن احوال عدن والمحميات وحاولوا الاتصال بهم ومساعدتهم ثقافياً واجتماعياً لحل مشاكلهم والبحث عن اسباب فقرهم وذلمهم وتآخرهم في مجرة الامم الحديثة الفتية... شعبنا يسير حافي القدمين باسمال باليه، ينام على قارعة الطريق، يتكفف ايدي المحسنين....) ويحمل محمد علي لقمان المحامي الاستعمار البريطاني المسؤولية السياسية والاخلاقية الكاملة لما آلت اليه الاوضاع في عدن والمحميات بعد مرور 110 سنوات من احتلالهم لعدن، فيقول في احدى افتتاحيات فتاة الجزيرة بتاريخ 27 يوليو 1947م (...ادركنا انا مستعمرون واننا لذلك في الدرك الاسفل بين الشعوب الحرة الفتية... اننا نرى الوظائف المهمة في الدوائر السياسية والرئاسات كلها بايدي اجانب لا ننظر اليهم الا نظر التيوس الى شفى الجزائر... عدن بلاد المتناقضات، بلاد الاجنبي فيها عزيز والمواطن فيها ذليل) ولكن لقمان الفيلسوف الثائر اذ يندب حظ العدني العاثر وما وصل اليه من ذل وضنك فانه يدرك تماماً قدرة الشعب الجنوبي في استعادة كامل حقوقه من الغازي المغتصب فيشحن ابناء قومه بجرعه قوية من العزيمة والامل (... نحن ابناء جنوب الجزيرة العربية نحب الحرية حتى وان عشنا معها في اكواخ الفقر وتحت وهج الشمس وفي مهب الرياح، ولن نرضى ان نستبدل استعمار مهما صوره لنا اذئاب الاستعمار والمنافقون الاغبياء..) من كان يستطيع ان يقول ذلك لبريطانيا سوى رجل واحد فقط بقامة محمد علي لقمان المحامي ويكفيه فخرا انه وفي عام 1931م عندما كان الزعيم الهندي العظيم (المهاتما غاندي) قد وصل الى عدن في طريقه الى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة كان قد سال : (اين صديقي لقمان، احضروا لي صديقي لقمان) فجاءه لقمان على الفور يتحدث الى غاندي ويتصافحان ويتناقشان في قضايا عدة.

وقد لا يعلم الكثيرون بان المجاهد محمد علي لقمان المحامي هو اول جنوبي يلقي خطابه التاريخي امام (لجنة تصفية الاستعمار) في الجمعيه العامه للامم المتحدة في نيويورك بتاريخ 18 سبتمبر 1962م عندما انصت له العالم وهو يشرح قضية الجنوب على مدى اربع ساعات كامله وباللغه الانجليزية منددا بالاستعمار البريطاني والاعيه، مطللبا بتصفية قواعده واعلان الاستقلال التام، وتطبيق قرارات حقوق الانسان ليس فقط على مستوى عدن والمحميات ولكن على المستوى العالمي. بعد ذلك عقد لقمان مؤتمراً صحفياً في بريطانيا اكد فيه على ما قاله في الامم المتحدة. وقد قالت عنه الصحف الامريكية والبريطانية حينها (ان لقمان رجل ندر مثله في البلاد العربية).

وفي 24 مارس من العام 1966م توقف القلب الكبير عن الخفقان، فاي مشعل للفكر قد انطفأ واي قلب قد توقف عن الخفقان.

رحم الله لقمان واسكنه في فسيح جنانه مع الانبياء والشهداء والصديقين.

المراجع:

1- عدن في عيون الشعراء

2- محمد الي لقمان المحامي (الاعمال الكامله)

3- محمد علي لقمان المحامي (رائد مركة التنوير في اليمن).

والمراجع الثلاثة تحمل بصمات الاديب الجامع والباحث اللامع ذو الصيت الذائع، ابن الفيحاء
ا. د. احمد علي الهمداني.

*- كتب: خالد عبدالوهاب

12 نوفمبر 2016